

الرواية البوليسية أنواعها وملاحها ومسيرتها في القرن الحادي والعشرين

The detective novel, its types, features and journey in the twenty-first century**Dr. Amin Ali**

PhD Arabic, NUML, Islamabad

E-mail: alimudassir1984@gmail.comORCID: <https://orcid.org/0000-0001-7543-9489>**Dr. Arshad Mahmood**

Lecturer, Arabic Department, NUML, Islamabad

Email: am Mahmood@numl.edu.pkORCID: <https://orcid.org/0000-0002-6529-2425>**ABSTRACT:**

The detective literature or criminal literature has its roots in the West, and it is a type of Western literature whose events revolve around crime, hero, mystery and solution. This literature was popular in the West in the seventh and eighteenth centuries AD. One of the reasons for the lack of popularity of this literature in our Arab world is the difference and distance between the foundations of Western and Eastern societies and the customs of popularity, religion and culture. One of the most important types of this literature is what is written in prisons or about prisons, because it linked an interesting series that provokes the reader to events related to himself and the prison and the goal in the form of innocence or execution. The art of the police novel has become famous among the West and the Arabs in quantity and quality. The detective novel, which is the offspring of industrial civilization, includes positive and negative consequences as well. There are some reasons for underdevelopment of the detective novel and its absence from the arena of Arab literature are: The impact of politics, society and culture on all types of literary writings, ignorance of the law and legal policy, Western ideas and opinions that did not fit for our culture and society & advancement of the West over the Arabs in terms of technology and scientific level.

Keywords:

The Detective novel, Journey, Backwardness, Century, Arab world.

الأدب البوليسي أو الأدب الجنائي يرجع جذوره إلى الغرب، وهو نوع من الأدب الغربي يدور أحداثه حول الجريمة والبطل واللغز والحل، قد شاع هذا الأدب في الغرب في القرن السابع والثامن عشر الميلاديين، لكن لم يكن في أدبنا العربي، وإن نجد بعض من الروايات والقصص القديمة بنمط كتابة بوليسية، لكن كتابها لم يريدوا أن يكتبوا في هذا الصنف من الأدب على وجه الخصوص، من أسباب عدم شيوع هذا الأدب في وطننا العربي، هو التفرق والبعد بين أسس المجتمعات الغربية والشرقية وعادات الشعب والديانة والثقافة، ومن أهم مميزات هذا الأدب الإثارة والمغامرة والتشويق نحو حل اللغز الذي يتعلق بالجريمة وخصوصا بالقتل. نشأ وترعرع هذا الأدب في ظل الحروب خصوصا الحرب العالمية الأولى والثانية. ومن أهم أنواع هذا الأدب ما يكتب في السجون أو عن السجون، لأنه ربط مسلسل مشوق يثير القارئ على أحداث تتعلق بذاته وبالسجن ويشوقه إلى النهاية والغاية في صورة البراءة أو الإعدام. وقد اشتهر بين الغرب والعرب فن الرواية البوليسية كما وكيفا.

أولاً: الرواية البوليسية:

من المعروف أن فن الرواية قد نال بالقبول في كل المجتمعات العربية والغربية على اختلاف أنواعها، والروايات البوليسية أو الجنائية بنمط مشوق ومثيرة صارت لافتة الأنظار، وقد صدرت منها مجموعات عديدة في المسلسلات والأفلام، فنشرت ونزلت في الأسواق الأدبية عددا هائلا وجذبت قلوب القراء فيقبلون عليها بشغف. فهي حسب رأي الباحث (عبد القادر شرشار): إن تاريخها تتعلق بالخيال وعناهرها الأساسية (الجريمة، المحقق، اللغز، والضحية) مع تفاعل العناصر الأخرى وانصهارها تتمهد طريقا ومسارا لهذا النوع من الرواية.¹

الرواية البوليسية هي الوليدة للحضارة الصناعية تتضمن في طياتها النتائج الإيجابية والسلبية كذلك. الباحثون في الرواية البوليسية يجمعون على أن حجر الأساس قد وضعه (إدغار آلان بو - Edgar Poe) لكن عمره لا يتجاوز قرنين وأيضاً توجد الشواهد على أن (بو) قد اقتبس فكرة عن كتابة رواية بوليسية من الأديب (زاديك - Zadig)²، وكان ذلك في أربعينيات القرن السابع عشر الميلادي.

ثانياً: الأشكال القصصية والأنماط المختلفة للرواية البوليسية:

من حيث الموضوعات والشكل تعدد أنماط النص الروائي البوليسي وأشكال قصصية مختلفة فيها سنسلط الضوء عليها فيما يلي:

أ: الرواية البوليسية الجاسوسية:

الرواية البوليسية قد تعتمد في أصولها وأسسها على القرن الماضي في بناءها ومضامينها حيث تستفاد معظم أحداث من مرجعين: الحرب العالمية (الأولى: ١٩١٤ - ١٩١٨ م، والثانية: ١٩٣٩ - ١٩٤٤ م)

م) وما جرى في الفترتين بين الحربين العالميتين، فأصول الرواية الجاسوسية تبدو في الصراعات والمناقشات بين الدول والمعسكرات، وهنا قد يختلط الأحداث الواقعية بخيط الخيال، فولدت بينهم شخصيات شهيرة السينمائية مثل (جيمز بوند) في الغرب، و(أدهم الصبري) و(رأفت الهيجان) في وطننا العربي. قد استخدمت الأدوات الهائلة في الجاسوسية في تلك الفترات من الزمان، فأحداث الرواية الجاسوسية تدور حول جواسيس (حكومياً كان أو سرياً شخصياً)، وأحداث مثيرة، وخونة البلاد الغربية والعربية، وعلى وجه الخصوص الأدوات المستخدمة في بناء فضاء هذه الروايات والقوات الهائلة لها دور بارز في إثارة التشويق لدى القراء. ففي ساحة الأدب العربي نجد من أشهر الروايات لصالح مرسي، ورأفت الهيجان وأيضاً نبيل فاروق. استخدم كل منهم الأجهزة للمخابرة والجاسوسية.

ب: الرواية البوليسية التقليدية:

هذه الرواية تبني على النمط التقليدي، وهي تحترم تماماً القواعد للتأليف في القصة البوليسية، تبدأ من الجريمة، فالتحقيق، ثم اللغز ومطاردة التحقيق، وأخيراً يكشف البطل عن أسرار الجريمة بكل دقة، من أهم ميزات هذا النمط من الرواية أنها تستخدم في اللغة تلائم المنطقة والشعب، فتخلو هذا الصنف من تحليل نفسي ومن قصة عاطفية. فالضحية أو القتل أو العثور على الجثة في مكان ما هو بداية هذا النص القصصي، فتنشأ اللغز ويبدأ التحقيق بالوقوف على معنى الحادثة وسببها، ثم يتوجه الأمر إلى شخص أو إلى مجموعة من الأشخاص من قبل حكومة أو سري خاص. فالرواية البوليسية في كل نصوص قصصي لا تكاد تخلو من هذا الأمور الثلاثة: المجرم، والمحقق، والضحية.³

من أهم خصائص الرواية البوليسية التقليدية هي:

- المحقق وظهوره بعد الحادثة مباشرة.
 - المجرم قد يكون شخصية غير أساسية، قد يكون حيواناً ما.
 - المحقق يقوم بتحقيق الفرضيات ثم ينتج منها النتيجة.
 - يربط المحقق بين الفرضيات والملاحظات وأيضاً بين الظواهر المختلفة مادية كانت أو نفسية.
- في كثير من الأحيان المحقق ينتمي إلى طائفة بوليس جنائي فيكشف عن المجرم باستخدام القرائن والأدلة التي وصلت إليها أثناء تحقيقه وبحثه.

ج: الرواية السوداء:

تتضمن الرواية السوداء نوعاً من الأدب الروائي قد اتسع شيعه وانتشاره في العالم الغربي، فهو في الأصل من الطراز الأمريكي الذي ظهرت في العقد الثاني من القرن الماضي، تدور أحداثها حول المجرم الشديد المراس والإجراءات المشوقة، هذا صنف من الرواية البوليسية ترضي جميع أذواق القراء إذ يجد فيه القارئ

أنواعاً مختلفة من الموضوعات. فلا بد لبناء الرواية السوداء سواد الليل، فمعظم أحداثها تظهر وتدور في ظلام الليل، من عناصرها الأساسية الأشخاص الأشرار هم الذين يعرفون بالأحوال السيئة والسلوك السيء كممثل الجناة، هذا النوع من أصعب الرواية في فك الألغاز؛ لأن أحداثها مرتبطة بالجريمة السوداء التي تقوم بالليل، فنجد فيه الغموض في فك الألغاز. من أهم الخصائص للرواية السوداء نظرة إلى فنياتها وموضوعيتها هي:

- حل الجريمة الذي يقوم به الباحث أو المحقق في معظم الأحوال للدفاع عن نفسه أو عن موكله ويقوم بتحليل الظواهر المادية والنفسية.
- التحقيق في هذا النوع يشبه مطاردة الصياد صيده، فتتحول عملية التحقيق على الاصطيد.
- يشبه المجرم في هذه الرواية المحقق، إلا أنهما يختلفان في ارتكاب الجريمة وحلها أي في البعث والغاية، وفي بعض الأحيان تتعدد الجرائم في رواية واحدة من قبل شخص واحد.
- قد تتضمن وتنقسم الرواية السوداء إلى فئتين: فئة ينتمي إليها الضحايا وهم لا يكادون يعرفون لماذا وقعت بهم الجريمة، وفئة ثانية مركبة من المجرمين الذين يردون سفك الدم، ويغمرهم الجنون المفضي إلى القتل.^٤

د: الرواية التشويقية:

هذا نوع من الرواية التي تلاحظ جانب التشويق للقارئ، وحتى النهاية يحاول كاتبها أن يكتم العقدة كي يبقى لذة القارئ في القراءة، تحبس الرواية التشويقية نفس القارئ مع تغير الأحداث المفاجئات المتسلسلة تقع في نص الرواية واحدة بعد أخرى، وهذا السبب يجعل النقاد في الرواية التشويقية أن لم يذكروا في نقدهم عن نص الرواية وأسلوبها ولغتها وعناصرها الأساسية والارتباط بين الحوادث ذكر العقدة، كي لا تفوت غاية هذا النوع من الرواية، ألا وهي التشويق، ولذا سميت بالتشويقية. فالحور في هذا النوع من الرواية هو (الضحية)، فالأحداث تتعلق وتدور حول هذه الضحية.

من الخصائص المهمة للرواية السوداء هي:

- الضحية أو الشخصية المحورية: تدور أحداث الرواية حول هذه الشخصية إذ يراعى في هذا الجانب من الرواية العناية البارعة من الكاتب في تشكيل الصراع والمبالغة في تركيز عليه بين المجرم والشخصية المحورية.
- ظاهرة التشويق من البداية إلى النهاية هذا الاتجاه هو من الخصائص المهمة والمبادئ الأساسية وجانب لا يغفل عنه كاتبها ولا قارئها.
- كثرة المفاجئات والأحداث المترابطة والمتسلسلة واحدة بعد أخرى أي قصة في قصة.

• براءة الشخصية المحورية أي الضحية في كل أعمال في النهاية.

• يدعم ويستخدم الباحث أو المحقق الأدلة المادية في حل اللغز وفي وصول إلى حله.

وكذا من أهم أنواع الرواية البوليسية الروايات التي تكتب في السجون أو السجون حيث نجد فيها عناصرها الأساسية ففي النهاية المتهم يصير بريئا من التهمة أو ترسل إلى المشنقة.

ثالثاً: محددات النص الجنائي:

من المعروف أن الرواية هي من أصعب أنواع النثر العربي، والرواية البوليسية اتجاه إبداعي مستورد من الغرب ملون بألوان مختلفة أكثر تعقيدا في مبادئها وأصولها البنائية الفنية، لذا لم يلفت إليه كثير من الأدباء والروائيين لأن كتابتها تطلب منهم الأمور الخاصة بالرواية الجنائية أو البوليسية وليس من السهل الاطلاع عليها أو الملاحظة خلال كتابتها، هناك اختلفت آراء النقاد في حقيقة الرواية البوليسية حتى يقال فيها: إنها ليس نوع من الأدب الروائي بل يكتب لتسلية القراء لوقت ما أي يساعد في قتل وقت محدد ولا علاقة لها بالأدب، فلذا من الصعب أن يحدد لها الأصول والضوابط؛ حتى تصور صورة كاملة لحل العقدة التي تتضمن الجريمة- واللغز- والضحية- المحقق. أما نظرة إلى أهمية الرواية البوليسية ومكانتها بين أنواع القصص والرواية لا بد لنا أن نلاحظ بعض من الأصول والضوابط التي تحدد صورة صادقة وسليمة للرواية الجنائية أو البوليسية إذ لا يمكننا أن نتحول النظر في وجودها وتطورها في القرن العشرين خصوصا في العقد الثاني منه بعد الحرب العالمية الثانية، فمن بعض الضوابط والأصول للرواية البوليسية هي:

- المقصود في الرواية البوليسية اللغز وحله إذ الرواية البوليسية الحقيقية لا تتضمن الألغاز الغرامية لأنها تشوش ذهن القارئ ويبعده عن تحديد لغز أساسي.
- موضوعية التحقيق هي من أهم أصول الرواية البوليسية، فلا بد منها أن لا يكون المجرم ينتمي إلى المحكمة الحكومية أو الشرطة أو من فئة المحققين السرية.
- الإثارة بالقتيل وبوجود جثته تعد من مبادئ الرواية الجنائية، فكثر الغثارة بكثرة الجثث أو القتلى، ولا بد من وجودها في الليل أو في مكان لم يلتفت إليه، ومن دون هذه الظاهرة لم تكن الرواية تعد تحت الأدب الجنائي، وستكون الرواية البوليسية تكون فاشلة.
- إحقاق الواقع والموضوعية فيها، إذ لا بد أن يستخدم المحقق الأصول المرتبة على الحقيقة والواقع التي تفضي إلى الموضوعية، فعليه أن يبعد في تحقيقه عن التحليلات الخيالية المحضة.
- تحديد شخصية المحقق والاكتفاء بعدد واحد، من بين الأسس البنائية للرواية البوليسية هو محورية شخصية المحقق كفرد واحد؛ إذ الكثرة في الكم والكيف في حل اللغز أو في مطاردة المجرم أو

اصطياد الجريمة أمر يقفضي إلى تشويش في حق القارئ فتتقص قيمة التحقيق في الرواية وتقل ظاهرة التشويق.

- قلة عدد المجرمين في رواية بوليسية واحدة تعد من أهم الضوابط لنجاح الخطة، لأن التعدد في المجرمين يفضي إلى التباس الذي مفضي إلى تقليل تشويق القارئ وحماسه تجاه أحداث الرواية البوليسية المتسلسلة. يسطر في هذه الظاهرة شكري عزيز القاضي في بحثه عن أنماط الرواية الجديدة:

((فمن خلال عناصر محددة أهمها ضرورة توفر الجريمة، ثم المجرم من جهة وكذا التحقيق البوليسي، وبالتالي رجل شرطي من جهة ثانية، وما بينهما يفتح الصراع وأساليب المطاردة، وتندرج الحبكة تبعاً لذلك بين الانغلاق والانفتاح من جهة ثالثة، ووصولاً إلى نهاية حتمية لا غنى عنها في القصة البوليسية مجسدة سقوط المجرم في قبضة العدالة، بعد أن تم الكشف عن خيوط الجريمة وملابساتها المتعددة، فالمؤقف الأخلاقي العقاب والثواب، يتحكم في رؤية الكاتب أو المجتمع، فضلاً عن أبعاد النص ودلالته المختلفة الممثلة لقيم المجتمع من قانون وسلطة وتعايش بين الفئات الاجتماعية.))[°]

- لا بد من النص الروائي البوليسي أن يكون شخصية المجرم فيه بارزة، تفوز بحيز معتبر أثناء أحداث الرواية وأن يكون القارئ يعرف عنه كثير من الأشياء خلال السرد القصصي، فتعدد في ذات المجرم أو تحول القص الروائي من المجرم إلى مجرم آخر من قبل الكاتب يعتبر نقصاً وعجزاً.
- على الكاتب أن يستخدم شخصية المجرم من الشخصيات الاجتماعية أو الشخصيات المهنية، وهذه الظاهرة تثير في أحداث الرواية وتؤثر في تشويق القارئ.
- أسلوب الرواية وكلمات المستخدمة في النص الروائي لا بد لها من السهولة والشفافية في بناء النص القصصي، وأن يكون هناك لا بد من الإيحاءات تلهم وتشير إلى شخصية المجرم من البداية والنهاية، وأن يكون الأسلوب المتسلسل يربط بين الأحداث؛ حتى في النهاية لحل اللغز ينبه القارئ بأنه كان يعرف شخصية المجرم خلال الإيحاءات، رغم ذلك كان أسلوب الرواية وجودة في استخدام الكلمات المتناسقة الملائمة في سرد الرواية حال دون تعيينها. لا بد من القارئ الذكي يعترف بأن الكاتب قد أدى حقه في استخدام الأسلوب المتين واللغة السليمة وكان لهما أثر في حل الألغاز باستعانة الإيحاءات.

- قد يستخدم الكاتب الأدلة المختلفة في بناء النص الروائي؛ حتى يجعل القارئ أن يتذبذب في الحبكة وفي بناء النص، ويجعله أن يتحول بالتشكيك في الشخصيات المختلفة من النص.
- الطابع الفكاهي والهزلي في كثير من الأحيان يبدو من بطل القصة والرواية، وهو شخصية المحقق يجعله الكاتب شخصية هزلية ومع ذلك شخصية تعرف بغاية الذكاء في المجتمع، وهكذا يفوز الكاتب أن يجعل اللونين في النص الروائي، لون اللغز ولون الفكاهة والسخرية.
- لا بد من الابتعاد في الجانب الغرامي في حياة المحقق كي شخصيته واضحة وأن تشوش في ذهن القارئ من البداية إلى النهاية.
- الغاية من النص الروائي القصصي هي تتبع الأحداث المتعلقة تفضي إلى تحقيق إدانة المجرم، فعلى الكاتب الروائي أن لا تبالغ في المقاطع الوصفية في البنية السردية، لأن الوصف تخسر وتبطئ عمل السرد، فهذه الظاهرة تصعب على القارئ فهم النص الروائي وتفكيكها وتحليلها؛ لأن الفن الروائي البوليسي ينتمي إلى أسرة الفن القصصي والروائي ولا مكانة فيه للإستعارات والكنائيات والمحسنات لفظية كانت أو معنوية، بل لا بد من البراعة في النمط والتنظيم والتخطيط في أحداث الرواية كي تفضي هذه الأمور إلى التشويق والمتعة في حق القارئ.
- لا بد من الابتعاد في الخطط وأنماط غير ملائمة وبألفاظ أخرى الوسائل غير ناجحة التي تبعد القارئ عن هذا الفن بعداً تاماً، وتجعله في متاعب كثيرة، وفي النهاية يفشل عمل الرواية ويصير إلى الإستهزاء أو التقليل في الشهرة.
- لا بد أن يهتم في الرواية البوليسية الجانب النفسي في التحليل؛ وهذا الطريق يهيئ للقارئ تشويقاً من البداية إلى نهاية النص.
- تحليل اللغز لا بد منه أن يلائم ذهن القارئ وبيئته الاجتماعية، فيلاحظ الكاتب الترتيب في بنية الأحداث كي لا يشوش فيه ذهن القارئ.

رابعاً: شخصية المحقق في النص الجنائي وخصائصها الفنية:

- البطل في النص الروائي هو المحقق فلا بد من تسلط الضوء على شخصيته فإنه شخصية خرافيا كما نجد في الرواية من القديم، فبالتالي تذكر بعض من الخصائص لبطل النص الروائي:
- المحقق سيكون دائماً بطل النص الروائي البوليسي وتنال بمحورية النص.
 - المحقق هو في ذاته أداة مهمة للكاتب في القصة وسيلة هامة لرسم صورة وجغرافية النص الروائي، إضافة إلى كونه شخصية ذات إزعاج خلال الرواية.

- عند بعض الكتاب تصير الرواية البوليسية صورة مزعجة من البرودة إذ شخصية المحقق فيه متخلف ولم يكن له أثر في أحداث النص.
 - قد يجلب الكاتب ماضي المحقق وكذا عمره وهويته، وتبدو شخصيته خلال تحليل النص.
 - المحقق في النص الروائي هو آلة مهمة في وصول إلى حل اللغز والنتيجة، وهو لم يكن كما شبهه بعض النقاد بالدمية المتحركة.
- شخصية المحقق لن تبدو إلا بعد وقوع الأحداث وخصوصاً في تحليل أحداثها، وكان يعمل مقابل راتباً معيناً شهرياً أو تعمل لشخص معين.

خامساً: مسيرة الرواية البوليسية في الأدب العربي:

هناك آراء مختلفة في بداية الرواية البوليسية في الأدب العربي، فمنهم من يرى أن أول رواية بوليسية في أدبنا العربي هي رواية المسماة بـ (ألف ليلة وليلة) لأنها تحتوي على عناصر القتل والهروب من قتل شهرزاد زوجة شهريار. وكان الجرم (شهريار) اعتاد بقتل الزوجات، فمنعت شهرزاد زوجها عن الوقوع في جريمة القتل بوسيلة القصص، وإذا دققنا النظر؛ فلا بد من الكلام الطويل وهو: أن كاتب هذه الرواية مجهول، والثاني: وقوع الاختلاف في أسس الرواية هل هي عربية الأصل أم مترجمة من اللغة الفارسية، والثالث: لم نجد في ما بين عناصر هذه الرواية (اللغز، والحل، والمحقق).

الأدباء المصريون قد بذلوا جهودهم في تقدم اللغة والأدب، فمن الصعب أن نجد كاتباً مصرياً لم يسهم في الرواية البوليسية ولو بمرة واحدة، فمن بينهم (نجيب محفوظ)، و(يوسف إدريس)، و(نبيل فاروق)، و(إحسان عبد القدوس)، و(يوسف السباعي) وغيرهم كثيرون.

فمن أشهر الروايات للأديب نجيب محفوظ (الرص والكلاب) التي تدور أحداثها حول جريمة القتل الحقيقي، قد تم القتل في القرن الماضي بمدينة الإسكندرية، وقد نالت بالقبول حتى أدرجت الرواية في المقررات الدراسية في المدارس الثانوية العربية. وكذا رواية الأديب (صنع الله إبراهيم) سماها بـ (شرف)^٦ استندت على جريمة القتل أساساً، رغم ذلك تسلط الضور على كثير من التناقضات في المجتمع العربية وصورة سيئة لأهلها.

ومن رواد الرواية البوليسية في اللغة العربية وأشهر الروائيين هو (نبيل فاروق)، رغم تخرجه من حقل الطب، تفرغ نفسه لهذا الصنف من الرواية وقد نال بشهرة واسعة عبر سلسلة روائية سماها بـ (رجل مستحيل)، حتى يمكننا القول بأن لا يمكن للطبيب أن ينال بهذه الوسعة من الشهرة في مجاله، حتى أصدرت وطبعت مئات وآلاف من نسخها، وبطل هذه السلسلة الروائية (أدهم الصبري) صار من أشهر شخصيات روائية في الوطن العربي. من ميزات نبيل فاروق أنه أبدع في الخيال العلمي في الروايات

العربية متأثراً من الروايات الغربية ويقر به بأنه يستوحى شخصية من بين شخصيات الرواية.^٧ وقد نال في هذا المجال عدداً كبيراً من الجوائز من بينها جائزة الدولة التشجيعية في الأدب، اعترافاً بمجهوداته في هذا المجال من الرواية.

وفي مجال أدب الأطفال أسهم محمود سالم كثيراً حيث قدم للصغار الخيال العلمي في صورة الألغاز التي لا بد منها غرسها في نفوس الأطفال، فكتبها تسلط الضوء على الأفكار الذكية الإيجابية خلال سلسلة الثلاثة عشر مع إبراز قيم الشجاعة وقيم المجتمع الإنساني من العدل والتعاون. وقد أكد (أحمد توفيق) أيضاً أنه (محمود سالم) كان أول من ألهم بكتابة الرواية البوليسية، وكذلك لم نكن أن ننسى اسم الدكتور طه حسين في روايته الشهيرة (دعاء الكروان) التي يدور أحداثها قتل أخت البطلة.

سادساً: غياب الرواية البوليسية من الوطن العربي وتحلفها:

كانت الرواية البوليسية شاعت بأنواعها وأشكالها في الوطن العربي في القرن العشرين لكن مع مرور الزمن غابت وتحلفت في القرن الحادي والعشرين بيننا وله سبب واضح جداً، وهو الفارق بين عادات الشعب العربي والغربي، وبين ثقافات عربية وغربية وأيضاً طرق التعليم في الوطن العربي والغربي، ففي العالم الغربي تزرع وتغرس القراءة اليومية كوسيلة التقدم في عاداتهم اليومية منذ فترة الطفولة فهم لا يثنون عن عاداتهم هذه مهما كانت الظروف ومهما تكون المغريات، أما في العالم العربي القراءة هي وسيلة لسد فراغ الوقت أو القراءة تنتظر المصادفة. فآدب البوليسي يتراجع بتراجع القراء مثل تحلف أصناف أخرى من الآدب نثراً وشعراً.

ومن بين أسباب تحلف آدب الجنائي هو إغلاق أبواب المعلومات القانونية على العامة في القضايا البوليسية كما يسطر في هذه القضية إبراهيم السحي: ((لأن مجتمعنا مغلق قانونياً حيث لا يمكن الصحفي من الوصول إلى معلومة أمنية إلا بوسيلة النافذة أو من وراء الحجاب أو من خلف الجدار، أو يبني معلوماته على الإشاعة فكيف بالكتاب؟! لذا فإن الكاتب ليس بحاجة إلى ممارسة الكتابة عن خيال بوليسي لا يستند إلى خلفية واقعية كون هذا الصنف من الرواية يطرح القضية ويحلل ويعالج من خلال أحداث تمس شريحة اجتماعية، إلى جانب أن مثل هذه الروايات تساعد في الدراسات السلوكية عند المجتمعات، والتي تعد الرواية ابوليسية مرآة لواقعها الاجتماعي)).^٨

كان تحلف الرواية البوليسية ليس على كتف الجيل الجديد فقط؛ بل بعد الاستقلال الوطن العربي كان الكتاب لم يعط الأهمية البالغة المقدورة للرواية البوليسية. ومن أسوأ الأسباب لتحلف آدب البوليسي في الوطن العربي هو الفارق الكبير بين الآدب والواقع، حيث لم يفز الروايات الجديدة بأصدق صور من الواقع الاجتماعي، فهي غير مقتبسة من المجتمع الحقيقي؛ فلا بد من الترابط بين الرواية البوليسية

والصور الاجتماعية، وبين الأحداث والأجواء الخاصة بها، فلا بد من الحركة بالليل الممثلة بالضباب، وهذه الأجواء مفقودة في بلاد عربية.^٩ الرواية البوليسية تعد من أكبر وسيلة للأفلام السينمائية بل نحق بالقول أن الروايات البوليسية هي أكبر جزء من الحياة السينمائية.

بعد البحث والتحقيق لم نجد أسسا وجذورا في شكل التقاليد ممهدة للروايات البوليسية، فهذا عمل جديد في البلدان العربية، رغم ذلك القارئ العربي شغوف بهذا النوع ويقبل عليه إقبالا شديدا، لكن لا بد منها أن يفهم الإشكاليات المختلفة لهذا الفن وارتباطها بالواقع، فالكاتب في البلدان العربية لم تلق نظرة التفات وجد على هذا النوع من الرواية لذا تخلف هذا النوع في بلادنا العربية، ذكر الباحث (برهان شاوي) سببا رئيسيا لتخلف هذا النوع حيث قال: ((أعتقد أن البنى الاجتماعية والقانونية للمجتمعات العربية تحول دون تطور هذه الطريقة الروائية، فليس من السهل أن يسمح للكاتب العرب الحصول على ملفات الجرائم في المحاكم العربية للاستفادة منها في كتابة الرواية البوليسية.))^{١٠}

وهناك رأي آخر في غياب الرواية البوليسية من ساحة الأدب العربي، وبالإصالة نقلت الروايات البوليسية بالترجمة من الغرب إذ الترجمة تلعب دورا بارزا في نقل الثقافات والآداب من قوم إلى قوم ومن شعب إلى شعب وكذا من لغة إلى لغة مغايرة، حيث الباحث أنور الجندي يسلط الضوء في هذه الظاهرة بقوله: ((كان من المفروض أن تلعب الترجمة دورا إيجابيا في نقل الأعمال الأدبية الكبرى إلى الأدب العربي، لخدمته وتقويته لكنها انخرفت في ظل الضغوط الغربية وسيطرة الاستعمار، ولعل هذا هو السر في تحول الترجمة عن أهدافها الأساسية وإرضاء رغبات القراء.))^{١١}، فالرواية بأشكالها وأصنافها مستوردة من الغرب، فهي أصدق صورة لتطور حضاري معين لديهم، هناك تظهر العلاقة بين الحرية الاجتماعية والسياسية في المجتمع الغربي وبين الرواية البوليسية، لأن لا بد من الأسئلة في الرواية البوليسية والذهاب والإياب داخل المحاكم والمكاتب لأن الرواية البوليسية لا تنمو ولا تدخر إلا في المجتمعات الحرة والأجواء غير معتقلة على التحديد، فهذا هو سبب كبير في غياب الرواية البوليسية من ساحة الأدب العربي وبخاصة من أنواع الرواية العربية.

سابعاً: أسباب غياب الرواية البوليسية وتخلفها في الوطن العربي:

فمن أسباب تخلف الرواية البوليسية وغيابها من ساحة الآداب العربية هي:

- أثر السياسة والاجتماع والثقافة على كل أنواع من الكتابات الأدبية قد أدى إلى تخلف وغياب الرواية البوليسية من وطننا العربي.
- الجهل بالقانون والسياسة القانونية، وإغلاق الأبواب على الكتاب والصحفين سبب في عدم ظهور الكتابة البوليسية.

- الأفكار والآراء الغربية التي لم تلائم بالثقافة والاجتماع لدينا قد أدى دور في تخلف هذا النوع من الرواية في بلادنا العربية.
- عدم الفهم أو قلته للأصول والأسس للرواية البوليسية المتعارفة في الغرب.
- تقدم الغرب على العرب في مفاهيم التكنولوجيا وفي مستوى علمي سبب رئيس في تخلف ظهور صنف الرواية البوليسية.
- قلة شغف القراءة في مناطقنا العربية لدى القراء وقلة المادة البلاغية لدينا.
- عدم الصدق وعدم الشفافية في عرض الجريمة، وعدم الوصول إلى جذورها.
- الفارق الكبير بين الأسس والقانون والديانة بين الغرب والعرب.
- الفكرة التي تؤسس وتبني على الجهل من أعراض الرواية البوليسية في وطننا العربي بأن هذه الرواية تصنف لمحض التسلية ولا وجود لها في معرض سياسي وفلسفي أو اجتماعي، تلعب دورا بارزا في تخلف الرواية البوليسية من بلادنا.

خلاصة البحث:

الأدب البوليسي والأدب الجنائي نوع من الأدب القصصي الروائي الذي يرجع تاريخه إلى القرن السابع والثامن عشر الميلادي، وقد ازدهر هذا الفن في الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية، فمن عناصرها الأساسية هي: (الجريمة، المحقق، اللغز، والضحية)، أما ذات المحقق ينال بمحورية النص الروائي، ويدور أحداث الرواية البوليسية في ظلام الليل أو العتمة أو الضباب، من أهم أنواع الرواية البوليسية: الجاسوسية والتقليدية والسوداء، ولا بد من الأسلوب البارع لغة سليمة كي لا يصعب الأمور والأحداث على القارئ وكى لا يفوت تشويقه تجاه أحداث النص الروائي.

(References)

^١ شرشار، عبد القادر، الرواية البوليسية — بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية — ص: ٣٧، منشورات اتحاد الكتاب العرب — دمشق، ط: ١، ٢٠٠٣ م.

Šršār, 'Abdu al-Qādir, Al-Riwāih al-būlīsīh – Baḥṭ fī al-n.ẓrīh wa al-'auṣūl al-tārīḥīh wāl.ḥaṣā'īsh al-fanīh wa aṭru ḍalik fī al-rwāih al-'Arabīh- P: 37.

^٢ المرجع نفسه، ص: ٣٨.

Ibid: P: 38.

^٣ شرشار، عبد القادر، الرواية البوليسية — بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية — ص: ٦١.

Šršār, ‘Abdu al-Qādir, Al-Riwāih al-būlisīh – B.aḥṭ fī al-n.zrīh wa al-’auṣūl al-tārīhīh wāl.ḥaṣā’iṣ al-fanīh wa aṭru ḍalik fī al-rwāih al-’Arabīh- P: 61.

^٤ القاضي، محمد، معجم السرديات، ص: ٢١٨، دار محمد علي للنشر والتوزيع – تونس، ط: ١، ٢٠١٠ م.

Al-Qāḍī, Muḥammad, Mu’ğamu al-.sardiāt, P: 218.

^٥ القاضي، شكري عزيز، أنماط الرواية العربية الجديدة، ص: ١٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، يناير: ٢٠٠٧ م.

Al-Qāḍī, Šuk.rī ‘Azīz, An.māṭu al-.riwāi.ātī al-’Arabīti al-ğadīdatī, P: 13.

^٦ إبراهيم، صنع الله، شرف، عدد الصفحات: ١٦٢، دار الهلال للنشر والتوزيع – القاهرة، ط: ١، ١٩٩٧ م.

Ibrāhīm, Saan’u Allah, šharf, P: 162.

^٧ نبيل فاروق، الرواية البوليسية – اختفاء القراء وإهمال النقاد – ص: ١٤، ع: ٤٧٣، المجلة العربية – الرياض، مارس ٢٠١٦ م.

Nabīl Fārūq, Al-Riwāih al-būlisīh – Ikḥṭifā’ al-qurā’ wa īh.māl al-nuqād- P: 14, V: 473.

^٨ إبراهيم السحجي، الرواية البوليسية وغيابها عن المنجز الروائي المحلي، ٢٠٠٤/٠٧/٢٢، الموقع الإلكتروني: www.aljsad.net.

Ībarāh.īm al-Saḥbī, Al-rwāih al-būlisīh wa ġīābahā ‘ani al-munğiz al-ruwā’i.ī al-maḥalī, 22-07-2004.

^٩ لويسي أمينة، الرواية البوليسية في الجزائر تشهد قطعية من الأجيال، ص: ٦، ع: ٤، مجلة سيلا نيوز، نشرية صالون الجزائر الدولي – الجزائر، ١ نوفمبر: ٢٠١٥ م.

Luwysī Amīnh, Al-rwāiah al-būlisīh fī Al-Ġazā’ir tašhd qat’īta mini al-’ağlāl, P: 6, V: 4.

^{١٠} برهان شاولي، موجود في الأدب العربي لكنها لم تحقق لنفسها الخصوصية، ص: ٢، الإثنين – ٢١ سبتمبر ٢٠١٥،

الموقع الإلكتروني: www.annasr online.com.

Burhān Šāwī, Mūğūd fī al-’ādab al-’Arabī lknhā lam taḥqāq linfsihā al-ḥṣūṣīh, P: 2.

^{١١} الجندي، أنور، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، ص: ٢٥٥، دار الكتاب – بيروت، ط: ١، ١٩٨٥ م.

Al-Ġundī, Anwar, Kḥaṣā’iṣ al-’ādab al-’arabī fī muwāğḥti nazrīati al-naqdi al-’adabī al-.ḥadīṭ, P: 255.